Journal Of the Iraqia University (73-9) July (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

التشكيل الجمالي للصورة الشعرية في شعر نامق سلطان

باشراف الدكتور جهانكير اميري أستاذ مشارك بجامعة الرازي بكرمنشاه في ايران

ابتهال علي حسين طالب مرحلة الماجستير بجامعة الرازي بكرمنشاه

Gaamiri686@gmail.com

Mvb123tt@gmail.com

الملخص:

الصورة الفنية تمثل إحدى العناصر التي يتشكل منها العمل الأدبي منذ عصور، وبالتالي هي إحدى المصطلحات التي تناولتها الدراسات النقدية بالتمحيص والتدقيق، وقد أولاها النقاد المحدثون أهمية كبيرة وذلك بتجاوز المفهوم القديم، ويمكننا القول : إنَّ كلَّ قصيدة هي في حد ذاتها صورة متكاملة ، تتألف من مجموعة من الصور الفرعية داخل النَّص الشعري.والدَّارس للصورة الشعرية يجد نفسه يدرس أهم عناصر التجربة الفنية بل ودارساً لجميع عناصرها سواء من فكر وعاطفة أو خيال .... فالصورة طريقة للتفكير والعرض والتعبير .ومن أهم الشعراء الذين تميزوا بصورهم الفنية وجمالها يبرز الشاعر نامق سلطان الذي تناول في أشعاره الصورة الفنية بتجلياتها ، حيث اتخذ من الكلمة سلاحاً ، وعرف شعره بالإحساس العالي ، والعاطفة الجياشة ، إضافة إلى مكانة الشاعر وأثرها في الحياة الأدبية والثقافة العربية ، أيضاً جدة الموضوع.استدعت طبيعة البحث أن تتناول مقدمة وخاتمة وفصلين؛ تناول الفصل الأول الكليات والمفاهيم، وتناول الفصل الثاني جماليات (الزمان والمكان واللغة) في تشكيل الصورة الشعرية .وقد واجهت البحث صعوبات كغيره من الأبحاث الأكاديمية، معظمها تخصُّ موضوع الدراسة ، وذلك نتيجة تضارب الآراء بين القديم والحديث، ما تحتمَّ علينا الإحاطة قدر الإمكان بجميع جوانبها ، للوصول إلى النتائج المرجوة، وقد اعتمدنا المنهج التحليلي لدراسة وتحليل مفاهيم الصورة الفنية، واستنطاق أشعاره .كلمات مفتاحية : التشكيل، الجمالي، الصورة الشعرية، نامق سلطان.

Abstract:

The artistic image represents one of the elements that constitute a literary work for ages. Consequently, it is one of the terms that critical studies have examined with scrutiny and scrutiny. Modern critics have given it great importance, transcending the old concept. We can say that every poem is, in and of itself, a complete image, composed of a group of sub-images within the poetic text.A student of the poetic image finds themselves studying the most important elements of the artistic experience, and even studying all of its elements, whether thought, emotion, or imagination.... The image is a method of thinking, presentation, and expression.Among the most prominent poets distinguished by their artistic imagery and beauty is the poet Namık Sultan, who addressed the artistic image in all its manifestations in his poetry. He used the word as a weapon, and his poetry was known for its high sensitivity and surging emotion, in addition to the poet's status and impact on Arab literary life and culture, as well as the novelty of the subject.The nature of the research required an introduction, a conclusion, and two chapters. The first chapter addressed generalities and concepts, while the second chapter addressed the aesthetics of (time, place, and language) in shaping the poetic image.Like other academic research, most of which pertains to the subject of study, this research encountered difficulties due to the conflicting views between ancient and modern works. This necessitated that we cover as much of its aspects as possible to reach the desired results. We adopted the analytical approach to study and analyze the concepts of the artistic image and to interrogate his poems.Keywords: Formation, aesthetics, poetic image, Namık Sultan.

المقدمة

تمثل الصُّورة البعد الثالث للنَّص الشِّعري بعد بناء النَّص وموضوعه، فالتحول الشِّعري المتمثل في ظهور الشِّعر الحر أدى إلى تغيير يكاد يكون جذرياً في بناء الصُّورة الشِّعريَّة، حيث كان عمود الشِّعر أساس الصُّورة الشِّعريَّة التقليدية باعتماد التَّشبيه والاستعارة والكناية والتمثيل والتي هي عناصر تكوُّن الصُّورة في التراث العربي." فأدى الانقلاب الجذري في نظرية الشِّعر إلى انقلاب مثله في الصُّورة الشِّعريَّة ابتعدت به عن وضعه التقليدي تناولت الدِّراسة الصُّور الشِّعريَّة في شعر نامق سلطان باعتبارها من أبرز المظاهر الجمالية التي تميز إبداعه الشِّعري، الصُّور الشِّعريَّة

ليست مجرد أدوات لتزيين النَّص، بل هي أساس التعبير عن الأفكار والمشاعر بأسلوب يجذب القارئ ويثير خياله اعتمد نامق سلطان على خيال خصب ولغة غنيَّة بالإيحاءات والرموز، مما جعل صوره الشِّعريَّة قادرة على تجسيد معانٍ عميقة ترتبط بموضوعات إنسانية مثل الحب، الحب، والوطن.تميزت الصُّور الشِّعريَّة في أعماله بقدرتها على الجمع بين الحداثة والتقليد، حيث استخدم تقنيات الشِّعر الكلاسيكي ، مثل الاستعارة والتَّشبيه، ولكن بأسلوب جديد يناسب روح العصر .لعب الإيقاع والموسيقى الداخلية دوراً هاماً في تشكيل الصُّور، حيث ساهمت في تعزيز الجمال الصَّوتي للنصوص، مما جعل القارئ يشعر بانسجام بين المعنى والإيقاع، كما أنَّ الصُّور لم تكن مستقلة عن النصوص، بل جاءت منسجمة مع القضايا المطروحة، معبرة عن صراع داخلي ورؤية تأمليَّة للعالم.توصلت الدِّراسة إلى أنَّ الصُّور الشِّعريَّة في شعر نامق سلطان كانت انعكاساً لإبداعه وقدرته على خلق عالم شعري متكامل، يدمج بين عمق الفكرة وجمال التعبير ، كانت هذه الصُّور وسيلة لإبراز فكره وروحه الفنية، ما جعل نصوصه تترك أثراً عميقاً لدى القارئ، وتسهم في تطور الشِّعر العربي الحديث.

الفصل الأول: الكليات والمفاهيم

المبحث الأول: الكليات

أهداف البحث

١) الهدف من الدِّراسة هو تسليط الضوء على الصُّور الشِّعريَّة في شعر نامق سلطان بوصفه أحد أبرز مظاهر الجمال والإبداع في الشِّعر العربي الحديث، وتحليل عناصرها وأبعادها الفنيَّة والدَّلاليَّة.

٢) تسعى الدِّراسة إلى فهم كيفية توظيف الشَّاعر للخيال واللُّغة والرموز البلاغيَّة في بناء الصُّور الشِّعريَّة، وكيف تسهم هذه الصُّور في التعبير عن موضوعاته الفكرية والعاطفية.

٣) ٤. تسعى الدِّراسة غلى إبراز مساهمة الشَّاعر في إثراء الشِّعر العربي الحديث، والتَّأكيد على أهميّة الصور الشِّعريَّة في نقل التَّجربة الشِّعريَّة بأسلوب يتجاوز الوصف التقليدي إلى التعبير الرمزي العميق.

أهمية البحث

تنبع أهميّة هذه الدِّراسة من تناولها للصور الشِّعريَّة، وهي من أبرز العناصر التي تضفي على النَّص الشِّعري جمالية وتفرّده، مع التَّركيز على شعر نامق سلطان بوصفه نموذجاً للشعر الحديث ، يمكن تلخيص أهميّة الدِّراسة في النِّقاط الآتية:

١) إبراز القيمة الجمالية والفنية للصور الشِّعريَّة: تسليط الضوء على مدى إبداع الشَّاعر في استخدام الصور الشِّعريَّة كوسيلة للتعبير عن أفكاره ومشاعره بأسلوب مبتكر.

٢) إثراء المكتبة النقدية: تعدُّ الدِّراسة إضافة علمية تسهم في فهم جوانب جديدة من الشِّعر العربي الحديث، خاصة فيما يتعلق بتقنيات التصوير الشِّعري وعناصره.

٣) تسليط الضوء على تجربة نامق سلطان الشِّعريَّة: تُبرزُ الدِّراسة أحد الأصوات الشِّعريَّة المهمة التي قد لا تكون قد حظيت بالدِّراسة الكافية، مما يساعد على فهم أعمق لإسهاماته في الشِّعر العربي.

أسئلة البحث

اعتمدت الدِّراسة على مجموعة من الفرضيات التي شكلَّت أساس البحث والتحليل، وهي:

١) الصُّورة الشِّعريَّة في شعر نامق سلطان تمتاز بالتجديد والابتكار.

٢) جمالية التشكيل في الصورة الشعرية عند نامق سلطان تعتمد بشكل كبير على الأدوات البلاغية، مما يجعلها غنية بالدلالات.

٣) الخيال هو العنصر الأساسي في بناء الصور الشِّعريَّة لدى نامق سلطان:

الدراسات السابقة

١) دراسة الصُّورة الشِّعريَّة في الشِّعر العربي الحديث، د. محمد عبد المطلب.

٢) دراسة الصُّورة الشِّعريَّة في شعر محمود درويش، د. أحمد سليم.

٣) دراسة البلاغة والصُّورة الشِّعريَّة في الشِّعر العربي المعاصر، د. علي حسين علي.

٤) دراسة الصُّورة الشِّعريَّة في الشِّعر العربي الحديث، دراسة بلاغية، د. زينب حسن عبد الله

٥) دراسة الصُّورة في شعر نزار قباني. دراسة تحليلية، د. حسن سعيد

المنهج المتبع:

حسب طبيعة البحث فالمنهج التحليلي هو المنهج المتبع في البحث.

المبحث الثاني المفاهيم

تعريف الصورة لغة واصطلاحاً

١-١-١-١- الصُورة لغة: ورد لفظ الصُورة في معجم تاج العروس من مادة [ص، و، ر] الهيئة والحقيقة، (والصفة (ج صور)، بضم، ففتح، وتستعمل الصُورة بمعنى النوع والصفة". ([1](وقد أشار البعض إلى أنَّ معناها في قوله تعالى: ((ونفخ في الصور)) :" هو جمع صورة يُنْفخُ في صور الموتى الأرواح "([2](وتصورت الشيء: توهَّمت صورته فتصوَّر لي. والتصاوير:" التماثيل والصُورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئتهُ وعلى معنى صِفَتهِ يقال: صورةُ الأمرِ كذا وكذا أي صِفتُه."([3])، وابن فارس في بداية حديثه عن الصُورة يقول:" الصاد والواو والراء كلمات كثيرة متباينة الأصول، وليس هذا الباب باب قياس ولا اشتقاق له" ([4](

الصُورة اصطلاحاً:

تعدَّد مفهوم الصُورة وتنوع باختلاف فهمها عند النَّقاد، فقد ظهرت تسميات مختلفة (صورة أدبية، صورة فنية، صورة بلاغية، صورة شعرية).

وتحمل الصُورة دلالات متعددة فهي مزيج من الحركة والألوان والأفكار والعواطف ، يقول شوقي ضيف في تعريفه للصورة : " الصُورة من يد صنَّاع يعرف كيف يضمّ الخط إلى الخط واللون إلى اللون، والضوء إلى الضوء، والظل إلى الظل، فلا تحسّ نشازاً بل تحس استواءً وائتلافاً"([5](

يقول عبد القادر رباعي في تعريف الصُورة الشِّعريَّة :" هي ابنة للخيال الشِّعري الممتاز الذي يتألف عند الشِّعراء من قوى داخلية، تفوق العناصر وتنشر المواد ثم تعيد ترتيبها لتصبها في قالب خاص حين تريد خلق فن جديد متحد منسجم" ([6](

تعريف التشكيل لغة واصطلاحاً

١-١-٢-١- التشكيل لغة: يشتق التشكيل من الجذر اللغوي" شكلَ: الشَّكلُ: بالفتح: الشبه والمثل، والجمعُ أشكالٌ وشكول والشَّكل: المثل، والقول: هذا على شكل أي مثله، وتشكل الشيء تصوره وشكَّله: صوَّره وجاء في تاج العروس: تشكَّلَ الشيْ: تصوَّر، وشكَّله تشكيلاً: صوره." ([7])،التشكيل في اللغة العربية "هو وضع علامات (حركات) على الحروف لتحديد نطق الكلمة بشكل صحيح. هذه الحركات هي الفتحة، الضمة، الكسرة، السكون، والتشديد، وتساعد في تمييز الكلمات وتوضيح معناها. "([8](

١-١-٢-٢- التشكيل اصطلاحاً: عرَّفه جون كوهن:" بأنَّه مجموع العلاقات التي يستقطبها كل عنصر من العناصر الداخلية لتنتظم، ووجود هذا المجموع يسمح بأداء وظيفته اللغوية" ([9](كما عرَّف كلايف التشكيل بأنَّه: "الشكل الدال، ويعني به في الفنون البصرية تلك التجمعات والتظافرات من الخطوط والألوان التي من شأنها أن تثير المشاهد" ([10](

١-١-١- تعريف الجمالي لغة واصطلاحاً

١-١-٣-١- الجمال لغة: يقول ابن منظور:" الجمال مصدر الجميل، والفعل جمُل، قال تعالى : ﴿ ولكم فيها جمالٌ حينَ تريحون وحينَ تسرحون ﴾ [11]))، فالآية بمعنى: البهاء والحسن. ويقول ابن سيدة: الجمال: الحسن يكون في الفعل والخلق، وقد جمُل الرَّجل بالضَّم جمالاً فهو جميل، والجمال يقع على الصور والمعاني" ([12] (

١-١-٣-٢- الجمال اصطلاحاً: " ما يثير فينا إحساسا بالانتظام والتناغم والكمال، وقد يكون ذلك في مشهد من مشاهد الطّبيعة، أو في أثر فني من صنع الإنسان، وإننا لنعجز على الإتيان بتحديد واضح لماهية الجمال، لأنه في واقعه إحساس داخلي يتولّد فينا عند رؤيته أثر تتلاقى فيه عناصر متعددة ومتنوعة ومختلفة باختلاف الأذواق، ومعرفة الجمال ليست خاضعة للعقل ومعاييره، بل هي اكتناه انفعالي" ([13] (

الفصل الثاني: جماليات (الزمان والمكان واللغة) في تشكيل الصورة الشعرية.

المبحث الأول: أهمية الزمان والمكان واللغة في شعر ناصق سلطان

١-١-٢- أهمية الزمان تعدُّ دراسة الزمان فصلاً من فصول دراسة الظواهر الأسلوبية في التشكيل الفني، و" عُدَّ كلٌّ من اللون والزمان والمكان من العناصر الهامة التي تدخل في تشكيل العمل الفني وتحدد جمالياته" ([14])، لأنَّه بات من المعلوم أنَّ الفنون تصنف صنفين: فنون زمانية وفنون مكانية .فالشعر والموسيقا فنَّان زمانيَّان يعتمدان حاسة السَّمع، وندرك عناصرهما تتوالى من خلال الزمان ، والرسم والتصوير والعمارة فنَّان مكانيان آثارها تشغل حيِّزاً من المكان، "وهي تعتمد على حاسة البصر وهناك فنون زمانية ومكانية معاً كالمسرح والرقص والسينما نسمع فيها ونرى ، وآثارها قائمة في المكان تشغله وفي الزمان تتوالى عناصرها فيه" ([15])، يقول:

البكاء على البيوت المهدمة لا يجدي

ولا يعيد الأحبة الذين رحلوا
فالشمس لا تبكِّر في الشروق
ولا تتأخر من أجلنا
والطيور تعرف مواعيد أوبتها
ونحن كما نحن
نصل المحطة متأخرين ([16])

فلكلِّ عمل فني طبيعة خاصة به لابد من أخذها بالاعتبار عند دراسة هذا العمل. فبالإضافة إلى جمالية العمل الفني، أي ما يتمتع به من ثراء جمالي يصبح هذا العمل ناقصاً إذا افتقد الحسَّ الزماني فلا بد أن يحمل في جوفه بنية زمانية وأخرى مكانية، "الأولى تعبير داخلي، والأخرى مظهر حسي، مفادهما أن كلتا البنيتين تمثلان جوهر العمل الفني وارتقاءه. "([17] هذا الكلام مفاده أنَّ أيَّ تشكيل في اللغة يشمل مسألتين هامتين لهما أثرهما في تحديد القيمة الفنيَّة والجماليَّة لهذا التَّشكيل هما: التشكيل الزَّماني والتشكيل المكاني ، إذ لابد للعمل الفني من بنية مكانيَّة تعدُّ بمنزلة الإطار العام الذي يؤطر الموضوع الجمالي، "كما أنَّه لابد من بنية زمانية تعبر عن حركته الباطنية ومدلوله الروحي بوصفه عملاً إنسانياً " ([18])، يقول:

مرَّة سألتني صبية
كم الساعة بتوقيت العصافير
فمتُّ من الدَّلال
وعندما صحوت لم أجدها
وما زلت أبحث عنها ([19])

ولكلِّ عصر نواميسه الخاصة بعنصري الزمان والمكان، " يرى عز الدين اسماعيل أنَّ الشعر فنُ زماني ، والصورة الشعرية لابدَّ أن تكون زمانية ، والحركة الزمانية هي أحد أنماط الصورة الفكرية " ([20])، يقول الشاعر:

كلمَّا مررت من هناك
سمعت ما يدعوني للمكوث
ولو ساعة، مع الظلال والفراغ
لأرى الآخرين يأتون من غيابهم
وآخرين يذهبون مسرعين
الوقت لايمكن حسابه
ولا الأنفاس الباقية لاكتمال النهار
والمتقاعدين يعرضون أناقتهم في المساء
أمَّا الليل، فهناك ما يكفي منه
كي ينام المنبوذون بسلام ([21])

فالنص يعالج التشكيل الفني للزمان من خلال الألفاظ الواردة في السياق، والتي لها دلالات زمنيَّة مباشرة أو غير مباشرة، ودور الدلالة الزمنية لها في جمالية المعنى.لقد تنوعت وتعددت التشكيلات الزمانية التي جاء بها الشاعر في نتاجه، ومما ورد عنه قوله:

بعد ساعة تقريباً
يأتي حارس المحطة
ليدعوني إلى قدح من الشاي
ويحكي لي قصة آخر قطار
مرَّ من هنا
قبل أكثر من عام

ولم ينزل منه أحد ([22])

إنَّ الأمثلة السابقة عن التشكيل الزماني عند الشاعر تعبِّرُ عن مقدرته على تطويع المفردات الدالة على الزمان، وإدخالها ضمن نسيج التشكيل الفني بشكل تبدو فيه متناغمة مع السياق ومتفاعلة معه، وتسهم معه في حمل عبء إيصال المعنى إلى المتلقي، ومنها ما يدفعه إلى التأويل وإطلاق عملية التخييل عنده، شأنها شأن أي مفردة أخرى في العربية، وقد تنوعت تلك المفردات في طريقة دلالتها على الزمن، منها ما كان مباشراً ومنها ما كان غير مباشر ، وفي كلتا الطريقتين كانت شديدة الاتصال بالعنصر المكاني ولا تستغني عنه .

أهمية المكان

للمكان أثر واضح في التشكيل الفني عند الشعراء، ويعدُّ عنصراً أساسياً في جوهر التشكيل الفني للشعر لأنَّه " أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها الحدث "([23])، و بدونهما أو بدون أحدهما على الأقل فلن يكون لذلك الحدث أي معنى ، وسيعجز الشاعر عن نقل مراده إل ينأ.

فالأعمال الفنيَّة سواء أكانت ذات صبغة مكانيَّة أم زمانية فهي في كلا الحالين بحاجة ماسة للارتباط بالمكان، إذ لابدَّ للعمل الفني من بنية مكانية تعدُّ بمثابة المظهر الحسي الذي يتجلى على نحوه الموضوع الجمالي، "كما أنَّه لابدَّ أيضاً من بنية زمانية تعبِّر عن حركته الباطنية ومدلوله الروحي بوصفه عملاً إنسانياً حيَّاً " ([24])ومن يمعن النظر في التشكيلات الفنية للمكان عند مختلف الشعراء قدماء ومحدثين يجد " أنَّ التعامل مع المكان في الشعر العربي تعتوره قراءتان : قراءة تفسير وقراءة تأويل"([25])فالمكان ليس ذلك المعطى الخارجي المحايد الذي نعتبره دون أن نأبه به، وغنَّما المكان هو حياة لا يحده الطول والعرض فقط، وإنَّما خاصيّةِ الاشتمال ، "وكأنَّي بالذين يدرسون الشَّخصية بمعزلٍ عن المكان والزمان إنَّما يسلبونها شطراً ذا خطورة معتبرة في تحديد سماتها وتشخيص سلوكها ، وتحديد أهدافها ومقاصدها" ([26])، يقول الشاعر نامق سلطان:

تركت في الموصل
جسراً عتيقاً
تركتُ نهراً حزيناً
ومنائر متعبةً
وكنائس صامتة
تركت مقاهي
وشوارع سوداء خالية
تركت نوافذ عالية ([27])

فالمكان ليس مكاناً جغرافياً مستقلاً وكفى ، بل إنَّه يشكل مع الزمان الذي لا غنى عنه ثنائياً مؤثراً في كلِّ ما يشتمل عليه المكان أو له علاقة به، وبما أنَّ المكان له تأثير كبير في حياة شاغلية ، والشعراء جزء منهم ، فهذا لا يعني أنَّ أيَّ نتاج فني صادر عنهم سيحمل حتماً شيئاً من التأثير المكاني في المبدع ونتاجه، لذلك نرى أنَّ " كلَّ تحليل وتأويل مهما كان عميقاً لأيِّ نصٍّ هو تأويل وتحليل ناقص لن يصل إلى عمق ذلك النص مالم يأخذ بالحسبان الارتباط التشعبي الذي يشدُّه المكان" ([28])، يقول:

نافذتي مفتوحة على أشياء كثيرة
بعضها مرَّ بسرعة
وبعضها مازال ماكثاً في داخلي
منذ قرون
ويتناسل كالحروب([29])

وفي موطن آخر يقول:

في مدرسة (الوطن) الابتدائية
الكلُّ كان غائباً
العلمُ غائبٌ
ونشيد الصباحِ غائبٌ
وخريطة الوطن على الجدار

غائبة

ورائحة المقاعد الخشبية

غائبة

والحديقة الصغيرة غائبة ([30])

فالوطن، وخريطة الوطن، والجدار، والمقاعد الخشبية، والحديقة، أمكنة مؤلفة عند جميع الناس، "وهي أمكنة واقعية غير متخيلة ومن جهة أخرى نجد أنّ أنسنة المكان تعطيه بعداً جمالياً"([31])، يقول :

أضعنُ طريقي أكثر من مرَّة

علماً أنَّ دليلي كان شجرة عالية

على تلَّة

تبدو للقادم مع الطيور

ثمَّ تغدو صخرة كبيرة

لم يترك أثراً على العشب اليابس

على السفح ([32])

والمكان غالباً ما يأتي رمزياً في الشعر، فالمبدع ينظر إلى المكان على أنَّه ليس الجغرافيا، "إنَّه المكان الأدبي الذي تتراءى من خلاله التجربة الشعريَّة والعناصر العاطفية والموقف الوجودي من الواقع والتوقّع "([33])

أهمية اللغة

تأتي أهمية اللغة من كونها على تماس مباشر مع منظومة الأطر التي تؤسس للنسق النَّصي، و" هذه الأطر ليست نقاطاً وشروطاً تمثل بياناً، ولكنها حالة من التنوع والمرونة تفرزها الذائقة الإبداعية، فما بين جيد ورديء مساحة شاسعة تسمح بقدر كبير من التباين، وهذا النسق الجمالي ممتد ومتسع أيضاً ولكنه على قدر من الثبات." ([34])(وتأتي أهمية اللغة في النَّص الشعري من كونها " تتميز بالتكثيف والعمق والمغايرة والتنوع الذي يحدث قدراً من الدهشة والتفاعل وأن يتميز أيضا بالاتساع الدلالي وأن يمنح المتلقي خيارات متعددة للتأويل سواء كان هذا المتلقي في ذهن المبدع أو خارج بؤرة اهتمامه، وأن يتبنى النص الشعري منطقاً ما، حتى وإن اختلف هذا المنطق عن المنطق الحياتي والبديهي." ([35]) ، يقول:

أنتِ

عطر الصباح البري

طراوته المحمولة من أقاص بعيدة

مما قبل الولادة والموت

عندما لم تلمس الشَّمسُ

غير وجهك

والأنهار لم تبلل

غير أقدامك

عندما كانت الأشياء طاهرة

كأنَّها في حضرة الله ([36])

والمبدع هو الذي يستطيع أن يوظف مفرداته بشكل جيد ويتعامل مع اللغة ككائن ينمو ويتطور ليمنح التركيبات اللغوية زخماً دلالياً يفوق بكثير معناها المعجمي الضيق، هذا المبدع يضيف لنصه ملامح جمالية هامة.، يقول:

تعلَّمنا قليلاً من الحكمة

في الوقت الذي أمضيناه تحت الشمس

وكثيراً من الرذيلة

فيما تسرَّب من الوقت إلى الظلام

ولم يعد هناك من المعجزات
ما يكفي لإقناع الغابات كي تبقى خضراء
والبحار كي تدافع عن مخلوقاتها الجميلة
ضد هذا الكائن الذي يختلُ عقله
لأسباب تافهة.([37])

فقد استطاع الشاعر أن يرسم لنا لوحة جمع فيها متناقضات بي (الشمس والظلام، الحكمة والرذيلة، الاختلال والعقل، الغابات والبحار) وفي تفصيل كلِّ واحدة منها الكثير من المعاني والدلالات التي ينضوي تحت عناوينها، حيث جمعهما الشاعر في مقطع واحد، واستطاع أن يطوع هذه التناقضات من خلال إبداعه الشعري وتجربته العميقة وفي موطن آخر نراه يجمع أيضاً بين مجموعة من الأضداد، ويقدمها بطريقة إبداعية خلت من التصنع والابتذال، وغلبت عليها البساطة والعفوية، يقول:

لم تكن الأمور سهلة
كانت أشبه بورطة لايمكن اجتياحها
أن تكون داخل الوطن وخارجه
أن تكون بين الناس، وبعيداً عنهم
أن تصرخ بصوت عالٍ
ولا يسمعك أحد ([38])

فالصورة التضادية بين (سهلة و ورطة، داخا وخارج، بين الناس وبعيداً عنهم، صوت عال، لا يسمعك أحد) ، هذه الجمل التي تحمل في طياتها التضاد أبرزت محتوى جمالياً مميزاً ، فوجود المصطلحات المتضادة ومحاولة توظيفها بطريقة إبداعية .

المبحث الثاني: السمات الفنية لشعر نامق سلطان من خلال نماذج تحليلية.

تكمن قوة الصورة الشعرية فيما تحدثه من إثارة لعواطف المتلقي، وكذا استجابته للعاطفة الشعرية، والصورة الجيّدة هي الصورة التي تعبّر عن إحساس الشاعر بصدق، فهي وسيلته الخاصة لتكوين رؤيته وتحديد موقفه ونقل تجربته وعرضها للآخرين وتأثيرها لذا وجب أن تتوفر له عدة خصائص لتكون الصورة جيدة:

١) التطابق بين وحدتي الصورة والتجربة

لابد أن تكون الصورة مطابقة تماماً للتجربة الشعرية التي مرَّ بها الشاعر، وذلك بغية إظهار فكرة، أو حدث أو مشهد أو حالة نفسية ...أو غير ذلك." فكلُّ صورة كليَّة أو عمل أدبي يحدث نتيجة تجربة صاحبها، حيث تفاعلت مع مشاعره، وخامرت نفس صاحبها، وامتزج المخزون المتراكم لديه بما هو جديد وطارئ، حتى إذا ما اكتملت في نفسه تتلاقاه الأشباه، وتتآلف النظائر لعلاقة بين أجزائها "([39]) ويعني ذلك ضرورة التطابق والتوافق بين التجربة الشعرية التي مرَّ بها الشاعر مع الصورة التي رسمها بها، وأثر ذلك في النص، يقول الشاعر:

كنا سنمسحُ آثار من سبقونا
إلى موتهم
كنا سنستدرج القمر البدر
إلى ربوة من رخام
ثم ندلج
من دون أسمائنا ([40])

٢) الوحدة والانسجام التام هو عنصر مترتب عن العنصر الذي سبقه، وذلك أنَّ الصورة " كوحدة تامة وبنية حيَّة مستوية.... لا تقبل معنى شارداً ولا خاطرة نافرة، بل انسجام تام بين الأفكار، وتلازم متصل بين المشاعر، ثمَّ تجانس محكم بين هذا كلّه وبين مصادر الصورة جميعها: "([41])

يبدو أنَّه صعبٌ أن تكتب
لصديق فقدتهُ قبل عشرين عاماً
لو أدري أنَّه مازال يكتبُ الشعرَ

لأرسلتُ له هذه القصيدة

ولن أكون بحاجة لرأيه، كما كنت أفعلُ

فأنا ما عدتُ شاباً

ومزاجي تغيَّر كثيراً

ولم أعد مقتنعاً

أنَّ الشعر يمكن أن يغيَّر العالم ([42](

وقد وضَّح ذلك مصطفى السعدني بقوله:" الصورة والفكرة شيء واحد، لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، وحيوية الصور وعضويتها لا ترجع إلى الفكر داخل القصيدة بقدر ما ترجع إلى الشعور الخصب، لأنَّ الأفكار الداخلية أصبحت صوراً خارجية والطبيعة الخارجية صارت أفكاراً ذاتية "([43])

٣) العمق والمراد من ذلك أن تكون التجربة الشعرية بعيدة عن البساطة والسطحية والوضوح، فيجب أن تتحلى بالعمق والفلسفة ، فهو يُعتبر روحاً في الصورة لأنَّه يمنحها أصالة " وليست هذه الروح ممن يمكن الوصول إليه عفواً، بل لابد لها من التعمق ، وأن يحسَّ الشاعر بشوق جديد إلى اكتناهه"([44])، يقول الشاعر:

في الغابة

قلوبُ الأشجار تنام مطمئنة

إلى أصوات الطيور

وتخفق في الفجر مذعورة

من صخب الحطابين ([45](

٤) الشعورتعتبر المشاعر والأحاسيس من أهم العناصر في القصيدة ، وفي التجربة الشعرية، "لذلك ينبغي أن يسري في كل جزء من أجزاء الصورة شعور الشاعر في تدفق، وقوة وحيوية، فكل كلمة لابد أن تنبض بمشاعره وأحاسيسه" ([46])، يقول:

الصَّبية المرسومة بالفراشات

تطمئنُ اللَّهب

جرحها ثلج

عذابها، يمحو العذاب من الوجوه

دمعها البارد تسبحُ في الطيور

سأزرع حول تمثالها

أصابع من نار

تعزف وحدتها([47](

٥) الإيحاءيعتبر " التصوير الشعري شكلٌ من أشكال الإيحاء، بل إنَّه من أهمّها في الممارسة الشعرية إطلاقاً"([48])، فالصورة الموحية هي من أجود الصور كونها لا تصرح بالمضمون مباشرة ، بل توحي له بدون غموض أو تعتيم فكانت اصورة الموحية "هي تلك التي لا تنص على المضمون صراحة ، ولا تكشف عنه مباشرة، بل توحي لذلك من غير تصريح ، ويشع عنها من غير مباشرة "([49])، يقول:

التعاليم العظيمة

ليست في الكتب

ولا فوقك

هي على الأرض

أمامك مباشرةً

أو خلفكَ

ربما دُست على كثير منها

وأنت تذهب يومياً إلى العمل
أو عندما تعبر الشارع مسرعاً
هي ليست في الكلام ([50])

وفي مكان آخر نراه يقدم مجموعة من المصطلحات التي توحي لأشخاص بعينها، يقول:

حين تدعوك إلى الرقص
بل هي حصنك من الجنون الذي يتسرب إليك
مع القصائد والألوان
أحفظها
وانس القوانين المائعة التي تعلمتها
أنس خرافات الكيمياء
وطلاسم الجبر
وهرطقات المنطق
بل أنس الكتب كلها ([51])

وهي توحي (القوانين) عن قوانين الحياة والطبيعة من حمورابي حتى وقتنا الحاضر، و(الكيمياء) إشارة لجابر بن حيان، و(الجبر) لمحمد بن موسى الخوارزمي، و(المنطق) للفيلسوف اليوناني أرسطو.

٦) الحيوية يرى عز الدين اسماعيل: " أن الصورة أبرز ما تتميز به الحيوية عدا أنها تتكون تكويناً عضوياً ، وليس مجرَّد حشد مرصود بالعناصر الجامدة، وحيوية الصورة تنبع مـن قدرة المبدع على تحـريكها أو تسكينها وقدرته على التقاط أجزائها، وصهرها في بوتقة المشاعر مع صياغة فكرته صياغة تليق بها"([52]) ، يقول:

أصابعكِ الطَّريَّة التي تحاول توضيح الفكرة
الفكرة التي تضيؤها عيناك
ويمنحها صوتُكِ جناحين
لا تشغلني الفكرة
ما يشغلني
الفراشات التي ترفرف حولك
والبهجة التي تلبس ثوباً فضفاضاً
يطير في الهواء حين تركضين على العشب
وبخفَّة تحلقين فوق الأزهار ([53])

٧) السهولة والبساطة: وظف الشاعر نامق سلطان اللغة في شعره بطريقة جيدة، وأضاف عليها تجربته الشعرية وانفعالاته الذَّاتية في التعبير، إلاَّ أنَّه رغم الثروة والملكة اللغوية الكبيرة التي يمتلكها وجدناه يميل كلَّ الميل إلى السهولة والمباشرة في التعبير، ومبتعداً عن الغريب الوحشي، والغامض المعقد، فجاءت عباراته سهلة، عذبة رصينة بعيدة عن الغريب المبتذل وهو يعود لخياله الواسع، وعاطفته المتوقدة التي منحته ايحاءات جعلته يسمو في تجربته الشعرية. يقول:

أن يكتب مئات الصفحات الباردة عن العقل
بينما أنا الذي خبَرتُ الحياة في مدن كثيرة
لم أكمل قراءة فصل واحدٍ من " نقد العقل
المجرد" ([54])

٨) الرقة والفخامة:جاءت ألفاظ الشاعر نامق سلطان واضحة وجلية، خالية من الغموض، وبعيدة عن التعقيد، وهو قدَّم لقارئ نماذج شعرية لا يحتاج فيها القارئ لمراجعة المعاجم الشعرية كي تعينه على معرفة الألفاظ الغامضة. يقول:

تعلمنا قليلاً من الحكمة
في الوقت الذي أمضيناه تحت الشمس
وكثيراً من الرذيلة
فيما تسرَّب من الوقت إلى الظلام
ولم يعد هناك من المعجزات
ما يكفي لا قناع الغابات كي تبقى خضراء
والبحار كي تدافع عن مخلوقاتها الجميلة ([55])

٩) المعجم الشعريتمتع نامق سلطان بثروة لغوية اتسمت بالتنوع والكثرة، فمعجمه يبدو للوهلة الأولى معجماً منوَّعاً اعتمد فيه على الألفاظ القوية والفخمة، ولجأ في بعض الأحيان إلى تعابير جزلة، دون استعمال الغريب من الألفاظ، أو تبني التراكيب المعقدة، فهو يميل إلى التعابير المباشرة كي يفهمها كل من سمعها.وهذا الأسلوب ليس من باب ضعف ثقافته اللغوية ، وإنَّما حرص على توثيق علمه ولغته بحسب طبيعة مجتمعه وعقلية بيئته ، " فاللغة بوصفها ترجمانا لكلِّ فعل أو المقابل اللفظي لكلِّ موقف إنما تتكيف بحكم ما في طبيعتها من طواعية ومرونة وفقاً لكل فعل ولكلِّ موقف" ([56])

الخاتمة والنتائج

لقد أظهرت الدراسة عن أهمية التشكيل الزماني والمكاني واللغوي في بنية الصورة الفنية في شعر نامق سلطان، الأمر الذي عمَّق بدوره مفهوم الجمالية لديه، ورفدها بروافد جديدة، ومتجددة خرج بها عن الأفكار والرؤى الموروثة التي كانت محاولة نقشها في لبوسات جديدة. وقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١) كشف البحث عن مجموعة من الوظائف للصورة الشعرية في النص الشعري في أشعار نامق سلطان، أبرزها الوظيفة الاستشرافية، والجمالية.

٢) أبرز البحث أهمية التشكيل الزماني والمكاني واللغوي في تحديد القيمة الفنيَّة والجماليَّة للصورة الفنية.

٣) تنوعت وتعددت التشكيلات الزمانية والمكانية التي جاء بها الشاعر في نتاجه الشعري.

٤) تنوعت السمات الفنية لشعر نامق سلطان من خلال التطابق بين وحدتي الصورة والتجربة، والوحدة والانسجام، والعمق، والشعور، والإيحاء، والحيوية.... ذلك.

٥) تنوع المعجم الشعري في ألفاظ الشاعر نامق سلطان بين ألفاظ الطبيعة، والألفاظ الدينية، والتراثية.

٦) أبرز البحث الترابط الوثيق بين الزمان والمكان في أشعاره، فالزمن لا يوجد مستقلاً عن الأشياء، ولكثرة امتزاجهما يلجأ الشعراء لاستعارة الألفاظ الدَّالة على الزمان للتعبير عن المكان.

٧) تميز النص الشعري في أشعار نامق سلطان بالتكثيف والعمق والمغايرة والتنوع الذي يحدث قدراً من الدهشة والتفاعل وتميز أيضا بالاتساع الدلالي ومنح المتلقي خيارات متعددة للتأويل.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١) إبراهيم: زكريا. مشكلات فلسفية٣ – مشكلة الفن، د. ط، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، د.ت.

٢) ابن فارس: معجم مقاييس اللُّغة، ط٢، دار الفكر للطباعة والتوزيع، مصر، ١٩٦٩.

٣) ابن منظور: لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٧.

٤) إسماعيل: عز الدين. الشعر العربي المعاصر– قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط٣، مزيدة ومنقحة، دار الفكر العربي، د.ت.

٥) إسماعيل: عز الدين. الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨١.

٦) بحراوي: حسن. بنية الشكل الروائي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء،١٩٩٠.

٧) رباعي: عبد القادر. الصُّورة الشِّعريَّة في شعر أبي تمام، ط١، منشورات جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٨٠.

٨) الز رزموني: إبراهيم. الصورة الفنية في شعر علي الجازم، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، ٢٠٠٠.

٩) الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي هلالي، مطبعة حكومية، ١١٥٤هـ الكويت.

١٠) السعدوني: مصطفى. التصوير الفني في شعر محمود حسن اسماعيل، دار المعارف، الإسكندرية، د.ط، د.ت.
١١) سلطان: نامق. ديوان ترقيع الأمل، مومنت للكتب والنشر، لندن، ٢٠١٦.
١٢) سلطان: نافع. ديوان كأني أمشي على حبل، منشورات الاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب في العراق، ط١، ٢٠٢٢، بغداد.
١٣) سلطان، نافع. ديوان مثل غيمة بيضاء تموز ديموزي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، دمشق، ٢٠١٩.
١٤) سلطان، نامق، ديوان أقحوانة الكاهن، اتحاد أدباء العراق، فرع نينوى، ١٩٩٥.
١٥) الصائغ: عبد الإله. دلالة المكان في قصيدة النثر – بياض اليقين لأمين أسبر أنموذجا، ط١، الأهلي للطباعة والنشر، ١٩٩٩.
١٦) الصديقي: عبد اللطيف. الزمان أبعاده وبنيته، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩٥.
١٧) الصيفي: شريف. جماليات النص الشعري، ٢٠١٣ ، https://almanalmagazine.com
١٨) ضيف: شوقي. دراسات في الشِّعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣.
١٩) عبد النور: جبور. المعجم الأدبي. دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.
٢٠) كوهن: حون. النظرية الشعرية. ترجمة أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، مصر، د.ط، ٢٠٠٠.
٢١) المقداد: وجدان. التشكيل الفني في الشعر العباسي، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، ٢٠٠٨.
٢٢) منون: محمد تركي. جماليات المكان في روايات أحمد يوسف داوود، رسالة ماجستير، جامعة البعص، حمص، سورية، ٢٠١٦.
٢٣) مونسي: حبيب. فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، د. ط منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١.
٢٤) اليافي: عبد الكريم. دراسات فنية في الأدب العربي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦.

هوامش البحث

[1]) الزبيدي: محمد مرتضى الحسين. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي هلالي، مطبعة حكومية، ١١٥٤هـ الكويت.، ص٣٦١/١٢
[2]) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: ١٢/ ٣٦٢-٣٦٣.
[3]) ابن منظور: لسان العرب، ط١، دار صار، بيروت، ١٩٩٧، ج٣.، ص١٥٦
[4]) ابن فارس: معجم مقاييس اللُّغة، ط٢، دار الفكر للطباعة والتوزيع، مصر، ١٩٦٩، ٣١٩/٣.
[5]) ضيف: شوقي. دراسات في الشِّعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٢٣٩
[6]) رباعي: عبد القادر. الصُّورة الشِّعريَّة في شعر أبي تمام، ط١، منشورات جامعة اليرموك، إربد، الأردن، ١٩٨٠، ص١٦.
[7]) الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني. تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ط، ١٩٩٤، ص٣٨١.
[8]) ابن منظور: لسان العرب، ط١، دار صاد، بيروت، ١٩٩٧، ج٣.، ص٤٦٣.
[9]) كوهن: حون. النظرية الشعرية. ترجمة أحمد درويش، دار غريب، القاهرة، مصر، د.ط، ٢٠٠٠، ص٥٠.
[10]) ابن منظور: لسان العرب، ص٤٦٤.
[11]) النحل: ٦.
[12]) ابن منظور: لسان العرب، ط١، دار صادر، بيروت، ٢٠٢/١٩٩٧،٣.
[13]) عبد النور: جبور. المعجم الأدبي. دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص٨٥.
[14]) المقداد: وجدان. التشكيل الفني في الشعر العباسي، رسالة دكتوراه، جامعة دمشق، ٢٠٠٨، ص١٧٢.
[15]) اليافي: عبد الكريم. دراسات فنية في الأدب العربي، ط١، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٦، ص١٣٩-١٤٠.
[16]) سلطان: كأني أمشي على حبل، ص٧٩.
[17]) الصديقي: عبد اللطيف. الزمان أبعاده وبنيته، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ١٩٩ص١٤٣.
[18]) المقداد: وجدان. التشكيل الفني، ص١٩٨.
[19]) سلطان: ديوان مثل غيمة بيضاء، ٧٨.
[20]) إسماعيل: عز الدين. الشعر العربي المعاصر– قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، ط٣، مزيدة ومنقحة، دار الفكر العربي، د.ت، ص١٥٧.

[21]) سلطان: كأني أمشي على حبل، ص٧٤.

[22]) سلطان: ديوان متل غيمة بيضاء، ص٣٩.

[23]) بحراوي: حسن. بنية الشكل الروائي، ط١، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء،١٩٩٠، ص٢٦.

[24]) إبراهيم: زكريا. مشكلات فلسفية ٣ – مشكلة الفن، د. ط، مكتبة مصر، دار مصر للطباعة، د.ت.، ص١٤٣.

[25]) مونسي: حبيب. فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، د. ط منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١، ص٢٩

[26]) مونسي: حبيب. فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، ص١٨.

[27]) سلطان: ترقيع الأمل، ص٩٦

[28]) مونسي: حبيب. فلسفة المكان في الشعر العربي، قراءة موضوعاتية جمالية، ص٧.

[29]) سلطان: ديوان متل غيمة بيضاء، ص٧.

[30]) سلطان: ديوان متل غيمة بيضاء، ص١٢

[31]) منون: محمد تركي. جماليات المكان في روايات أحمد يوسف داوود، رسالة ماجستير، جامعة البعص ، حمص، سورية، ٢٠١٦، ص٦١.

[32]) سلطان: ديوان كأني أمشي على حبل، ص٣٣.

[33]) الصائغ: عبد الإله. دلالة المكان في قصيدة النثر – بياض اليقين لأمين أسبر أنموذجا، ط١، الأهلي للطباعة والنشر،١٩٩٩، ص٤٤.

[34]) الصيفي: شريف. جماليات النص الشعري، ٢٠١٣ ، https://almanalmagazine.com

[35]) الصيفي: شريف. جماليات النص الشعري، ٢٠١٣ ، https://almanalmagazine.com

[36]) سلطان: أقحوانة الكاهن، ص٧..

[37]) سلطان: متل غيمة بيضاء، ص٨٤.

[38]) سلطان: ديوان مثل غيمة بيضاء، ص٨٨.

[39]) الز رزموني: إبراهيم. الصورة الفنية في شعر علي الجازم، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، ٢٠٠٠، ص٢٢.

[40]) سلطان: أقحوانة الكاهن، ص١٠.

[41]) الز رزموني: إبراهيم. الصورة الفنية في شعر علي الجازم، ص٢٢٥.

[42]) سلطان: ديوان متل غيمة بيضاء، ص٣٢.

[43]) السعدوني: مصطفى. التصوير الفني في شعر محمود حسن اسماعيل، دار المعارف، الإسكندرية، د. ط، د.ت، ص١٠٩.

[44]) الز رزموني: إبراهيم. الصورة الفنية في شعر علي الجازم، ص٢٣٥.

[45]) سلطان: ترقيع الأمل، ص٩٧.

[46]) الز رزموني: إبراهيم. الصورة الفنية في شعر علي الجازم، ص٢٣٥.

[47]) سلطان: أقحوانة الكاهن، ص٤.

[48]) الز رزموني: إبراهيم. الصورة الفنية في شعر علي الجازم، ص٢٣٣.

[49]) الز رزموني: إبراهيم. الصورة الفنية في شعر علي الجازم، ص٢٢٧.

[50]) سلطان: ديوان متل غيمة بيضاء، ص٣٦.

[51]) سلطان: ديوان ترقيع الأمل، ص٥٠.

[52]) الزرزموني: إبراهيم. الصورة الفنية في شعر علي الجازم، ص٢٣٨.

[53]) سلطان: ترقيع الأمل، ص٩٥.

[54]) سلطان: ديوان متل غيمة بيضاء، ص٨٩.

[55]) سلطان: ديوان متل غيمة بيضاء، ص٨٤

[56]) إسماعيل: عز الدين. الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، بيروت، ط٣، ١٩٨١، ص١٧٥.